بناء العقول في الإسلام وأثره في بناء الإنسان

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصحبه ومن والاه وبعد؛؛

العقل مناط التكريم

العقل مناط التكريم، لأن عليه أسباب الفهم والوعي، ولكن قبل معرفة العقل في القرآن ودلالته، ما معنى كلمة عقل، وما الفرق بين العقل والوعي؟!

العقل: أصل الْعقل مصدر عقلت الْبَعِير بالعقال أعقله عقلا، والعِقال: حَبل يُثنَى بِهِ يَد الْبَعِير إِلَى رُكْبَتَيْهِ فيشدُّ بِهِ، والعَقْل فِي كَلَام الْعَرَب: الدِّية، سميت عَقلاً لِأَن الديَة كَانَت عِنْد الْعَرَب فِي الْجَاهِلِيَّة إِبِلاً، وَكَانَت أموالَ الْقَوْم الَّتِي يرقئون بهَا الدِّمَاء، فسمِّيت الدِّيَة عَقْلاً لأنّ الْقَاتِل كَانَ يكلَّف أَن يَسُوق إبل الدِّيَة إِلَى فِنَاء وَرَثَة الْمَقْتُول، ثمَّ يَعْقِلهَا بالعُقُل ويسلمها إِلَى أوليائه، العَقلُ أصلُ مَعْنَاه المَنْعُ، وَمِنْه العِقالُ للبَعير سُمِّي بِهِ لأنّه يَمْنَعُ عمّا لَا يَلِيق.

والعقل بمعنى الوعي والفهم والإدراك، لأنه يمنع صاحبه من الوقوع في المحظور، أو القبيح فبات أشبه بعقال الإبل، التي تمنعها من الفكاك أو الهرب، أو أن ترتع فيما ليس لها!

وهو القوّة التي تمكّن الإنسان من التجريد والتعميم واستنباط المعارف والعلوم.

وقد ورد لفظ العقل بمشتقاته في كتاب الله في أكثر من موضع تقريبا في نحو أكثر من أربعين موضعا، بموادها المختلفة واشتقاقاتها من ذلك قول الله تعالى:

﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤﴾ (البقرة)

وقوله ﷻ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ (البقرة)

وقوله سبحانه: على لسان أهل النار نعوذ بالله منها: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ (الملك) وقوله ﷻ ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (العنكبوت) وغيرها من الآيات التي تدعو إلى الفكر وإعمال العقل والتدبر في آيات الله ﷻ. وبين سبحانه أن بني الإنسان مكرم على ما سواه، فقال ﷻ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ (الإسراء)

فقد ذكر أهل التفسير أن من بين أسباب التكريم، العقل والفهم والتمييز، فالله تعالى كرّم الإنسان بالعلم والعقل.

أزمة الوعي

الوعي معناه الإدراك، تقول وعيت، أي أدركت وفهمت، تبينت، واستوثقت، والإنسان المدرك هو الرشيد، العاقل، صاحب الذكاء والفطنة والخبرة، كما بين الحق سبحانه أن الوعي والفهم السليم وإدراك الأمور، هو المنهج السليم، وهو نهج الله والمرسلين قال تعالى ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ (الحاقة)، وبين الحق سبحانه أن القرآن والسنة المطهرة؛ هما سبيل الرشد والفهم، وأنه لا سبيل إلى معرفة الله إلا من خلال القرآن والسنة، بفهمها فهما سليما؛ من منابعها الأصيلة، وبفهم علماء الأمة، في كل مكان وزمان، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ﴾ (فاطر) وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ (الحج) فأهل الصفوة، أهل الاجتهاد، والخشية، العلماء، الذين تفكروا في نعم

الله، وأخلصوا دينهم لله، واعتصموا به، فاصطفاهم وأخلصهم لنفسه، وجعلهم منائر للهدى، وأنار عقولهم وقلوبهم، وأرشدهم وهداهم إلى طريق المستقيم.

وقد طبق الصحابة رضوان الله عليهم مسألة الوعي والفهم أفضل تطبيق

فهذا معاذ بن جبل رضي الله عنه فقد ورد أنَّه صلَّى اللهُ تعالى عليهِ وسلَّمَ لما أرادَ أن يبعثَ معاذًا إلى اليمنِ قالَ : كيفَ تقضي إذا عُرِضَ عليكَ قضاءٌ؟ قالَ : أقضي بكتابِ اللهِ قالَ : فإن لم تجِدْ في كتابِ اللهِ تعالى ، قالَ : فبسنَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ تعالى عليهِ وسلَّمَ قالَ : فإن لم تجدْ ؟ قالَ : أجتهدُ رأيي ولا آلو ، فضربَ صدرَهُ وقالَ : الحمدُ للهِ الَّذي وفقَ رسولَ رسولِ اللهِ لما يرضاهُ رسولُ اللهِ والحديث وإن ضعفه البعض لعلة في السند لكن له أصل في الصحيح ([1])، فالاجتهاد من هدي سيدنا رسول الله ﷺ، وصحابته الكرام، بشروطه وضوابطه وأسسه، ومنها؛ الفهم السليم والصحيح، وهذا الفهم لن يتأتى إلا من خلال معلم متمكن، من أدواته، وطالب نجيب، لديه القدرة على فهم النص وتحليله، ولديه القدرة على الاستنباط والاستنتاج والمثابرة على طلب العلم.

ولنا في سيدنا عبد الله بن عباس حبر الأمة عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: هَلُمَّ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُمُ الْيَوْمَ كَثِيرٌ "، فَقَالَ: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَتَرَى النَّاسَ يَفْتَقِرُونَ إِلَيْكَ وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ فِيهِمْ، قَالَ: «فَتَرَكْتُ ذَاكَ وَأَقْبَلْتُ أَسْأَلُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ كَانَ يَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِي بَابَهُ وَهُوَ قَائِلٌ فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ يَسْفِي الرِّيحُ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي» فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا جَاءَ بِكَ؟ هَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتِيَكَ؟، فَأَقُولُ: «لَا، أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَكَ» ، قَالَ: فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ، فَعَاشَ هَذَا الرَّجُلُ الْأَنْصَارِيُّ حَتَّى رَآنِي وَقَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلِي يَسْأَلُونِي، فَيَقُولُ: «هَذَا

[1] علق بعض شارحي الحديث على هذا الحديث بقوله: إسناده ضعيف لإبهام أصحاب معاذ وجهالة الحارث بن عمرو، لكن مال إلى القول بصحته غير واحد من المحققين من أهل العلم منهم الفخر البزدوي في "أصوله" والجويني في "البرهان"، وأبو بكر بن العربي في "عارضة الأحوذي"، والخطيب البغدادي في "الفقيه والمتفقه"، وابن تيمية في "مجموع الفتاوى" ١٣/ ٣٦٤، وابن كثير في مقدمة "تفسيره"، وابن القيم في "إعلام الموقعين"، والشوكاني في "جزء له مفرد" خصصه لدراسة هذا الحديث، أشار إليه هو في "فتح القدير"، ونقل الحافظ في "التلخيص" ٤/ ١٨٢ عن أبي العباس ابن القاص الفقيه الشافعي تصحيحه كذلك. وأجابوا عن دعوى جهالة الحارث بن عمرو بأنه ليس بمجهول العين لأن شعبة بن الحجاج يقول عنه: إنه ابن أخي المغيرة بن شعبة، ولا بمجهول الوصف، لأنه من كبار التابعين ولم ينقل أهل الشأن جرحاً مفسراً في حقه، والشيوخ الذين روى عنهم هم أصحاب معاذ، ولا أحد من أصحاب معاذ مجهولاً، ويجوز أن يكون في الخبر إسقاط الأسماء عن جماعة، ولا يدخله ذلك في حيز الجهالة، وإنما يدخل في المجهولات.

الْفَتَى كَانَ أَعْقَلَ مِنِّي» (الحاكم في المستدرك بسند صحيح) أي فهم هذا، ابن عم رسول الله، والذى دعا له النبي ﷺ بالبركة والفهم، يقف على باب الصحابة والعلماء، ويرفض الدنيا وزخرفها، لأنه يعلم أن الدنيا لن تستقيم إلا بعلم صحيح وأن العلماء ورثة الأنبياء، أما صاحبه فيرى من خلال نظرة قاصرة أن الصحابة فيهم الغنى عن تعلم ابن عباس، وكأنه يقول ما ترك الأول للأخر شيء، وهو قول باطل، فالعلم يزداد بالتكرار والإكمال من حيث أنتهى السابق، يقف على باب أهل العلم، ويتحمل المشاق.

من لم يحتمل ذل التعلم ساعة؛ بقي في ذل الجهل أبدًا. ولله در القائل: إن المعلم والطبيب كلاهما ... لا ينصحان إذا هما لم يكرما - فاصبر لدائك إن أهنت طبيبه ... واصبر لجهلك إن جفوت معلما.

إن مجتمعاً بلا وعيٍ ناضج هو الأرض الخصبة لكل فساد وإرهاب، وإن مجتمعاً بلا وعي هو الأقدر على تدمير ذاته دون عناء !!

أزمتنا أو أزمة الكثير منا الآن أزمة وعي، وإن المعركة والصراع الدائر بين الحق والباطل معركة وعي في المقام الأول، فكلما زاد الإدراك والفهم السليم، كلما قل الاستقطاب والانزلاق إلى مواطن الخطر والعكس بالعكس.

وفي الحديث «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا» (معجم الطبراني) والسفاسف الأمر التافه الرديء، وقد نفر منا فرق وجماعات، جعلوا من الفروع أصولا، ومن الأصول فروعا، وخلطوا بين العادة والعبادة، والواجب والمندوب، ولم يفرقوا بين الأصل والفرع، وباتت القضايا الخلافية تشغلهم أكثر من الأصول والعقائد الراسخة، فجعلوا منها حربا ضروسا، ونفذوا بلا وعي ما قد رُسم لهم، ودبر من ذي قبل، فقد أوصى أحد سدنة الغرب عند دراسته للعقيدة الإسلامية، والتراث الإسلامي، قائلا: لا بد من تزييف تلك العقيدة، معركتنا معركة وعي وفكر، فاشغلوهم بأنفسهم قبل أن يشغلوا بكم، وأجعلوا من خلافاتهم أصولا، ومن فروعهم حروبا، ومزقوهم من حيث لا يعرفون ولا يدركون!!

وها نحن نختلف عن الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ سرا أم جهرا؟! نختلف على زكاة الفطر نقدا أم عينا؟! مع أنك لو تأملت الأمر ستجده أيسر من ذلك، وأن

اختلاف الفقهاء فيما لم يرد فيه نص قاطع فيه رحمة، وأن الضرورات والأمور تقدر بقدرها، وأن لكل زمان ومكان ما يناسبه، فما يناسب أهل الحجاز وطبيعتهم يختلف مع ما يناسب أهل العراق، يختلف مع أهل الشام ومع أهل مصر، هذا في الفروع، أما الأصول والعقائد والثوابت فلا تتغير بتغير الزمان والمكان أبدا.

إن من قضايا الأمة سطحية التفكير، وعدم اتباع مدرسة فقهية بعينها، بل تراه يأخذ من هذا ويترك من هذا، ويأخذ من ذلك ما يوافق هواه!! واصبح الدين بالهوى.

الدين أعمق وأقوى وآجل من هذا التفكير السطحي للنص، ومن جمال هذا الدين أنه دين أخلاق دين معاملة، دين يجمع بين الجوهر والمظهر، والجوهر فيه يقدم على المظهر.

العلم أساس بناء الشخصية المسلمة السوية

إن أول آية نزلت على قلب النبي ﷺ كانت اقرأ " تعلم، أمر بالعلم والفكر قبل الصلاة والزكاة، والحج والعبادات، تعلم، تفكر تدبر، وعلي اختلاف المفسرين في أيهما نزل قبل الآخر فأن الآيات الأولى التي نزلت علي قلب سيدنا رسول الله ﷺ تحض علي العلم، سواء أكانت اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١- العلق) أو قوله تعالى (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)

فإن أفضل خلق الله بعد الأنبياء هم العلماء، بدليل قول الحق سبحانه: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ..) (المجادلة ١١) وبين سبحانه أن أكثر الناس خشية لله هم العلماء لأنهم أعرف الناس بمقام الله وقدر الله قال ﷻ: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ..) (فاطر ٢٨) وبالعلم أظهر الله سبحانه آدم علي الملائكة وأمرهم بالسجود له، فهو وسيلة السعادة الأبدية، وهو إرث الأنبياء والمرسلين، ولا يكتفي القرآن بمجرد الإشارة إلى العلماء، وإيمانهم، وفضلهم على ما سواهم، بل نجد العديد من الآيات القرآنية التي تدعو إلى التدبر والتفكر وإعمال العقل في فهم النص، وتبين إن سر هلاك الأمم الغابرة، عدم تدبرها وتفكرها.

قال تعالى: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١١- الأنعام) فهذه الآية جاءت بصيغة الأمر والفرض، لضرورة السعي والسير، ثم النظر والتأني والتفكر والتدبر في مآل الذين كذبوا بآيات الله ورسله، وإعجازه في كونه!

ويؤيدها قول الله تعالى: أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦- الحج) وقد اثبت العلم الحديث أن العقل محله القلب، لذا نجد براعة القرآن في استخدام اللفظ في مكانه تماما!

يقول الإمام المراغي :" وسر استعمال القلب في هذا المعنى ما يراه الإنسان من انقباض أو انشراح حين الخوف والاشمئزاز أو حين السرور والابتهاج، والفقه: العلم بالشيء والفهم له، وفسره الراغب بالتوصل بعلم شاهد إلى علم غائب، وقد استعمله القرآن في مواضع كثيرة بمعنى دقة الفهم والتعمق في العلم ليترتب عليه أثره وهو الانتفاع

فالقرآن يدعو للنظر والسير، واحترام العلم، وبناء النتائج على المقدمات، يقول الحق ﷻ: قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١- يونس) ويقول الحبيب المصطفى ﷺ مثلُ هذه الأُمَّةِ كمثلِ أربعةِ نفرٍ رجلٌ آتاهُ اللهُ مالًا وعلمًا فهو يعملُ بعلمِه في مالِه يُنفقُه في حقِّهِ ورجلٌ آتاه اللهُ علمًا ولم يُؤْتِه مالًا فهو يقولُ لو كان لي مثلَ هذا عملتُ فيه مثلَ الذي يعملُ قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ فهما في الأجرِ سواءٌ ورجلٌ آتاه اللهُ مالًا ولم يُؤْتِه علمًا فهو يخبطُ في مالِه يُنفقُه في غيرِ حقِّهِ ورجلٌ لم يُؤْتِه اللهُ علمًا ولا مالًا فهو يقولُ لو كان لي مثلَ هذا عملتُ فيه مثلَ الذي يعملُ قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ فهما في الوِزْرِ سواءٌ (أحمد وابن ماجة بسند صحيح)

ويقول الحبيب المصطفى ﷺ: من سلك طريقًا يطلبُ فيه علمًا ، سلك اللهُ به طريقًا من طرقِ الجنةِ ، وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها رضًا لطالبِ العِلمِ ، وإنَّ العالِمَ ليستغفرُ له من في السماواتِ ومن في الأرضِ ، والحيتانُ في جوفِ الماءِ ، وإنَّ فضلَ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ

، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا دينارًا ولا درهمًا ، ورَّثُوا العِلمَ فمن أخذَه أخذ بحظٍّ وافرٍ (أحمد والترمذي بسند صحيح)

والحديث عن شرف العلم وبيان نصوص القرآن والسنة في فضله وشرفه، عظيمة كبيرة، كثيرة، تحتاج إلى لقاء مفصل، وإنما أوردت بعضها لبيان، أن الشرف الحقيقي في العلم، وأن بناء العقل يبدأ من القراءة، ومن ثم يأتي بناء الإنسان.

فالعقل حاكم على النص بشروطه وضوابطه، وقد تعلمت من مدرسة التاريخ أن النص أي نص يحتاج لملكات وقدرات، وتحليل ونظر، وعمق وتدقيق، وفهم وتمحيص، وأنه لا سبيل لفهم النص الفهم الصحيح، إلا من خلال عقل سليم، يبدأ من سمع واع، ونظر وبصيرة، ومن ذلك مثلا: ما اشتهر على لسان الوعاظ والقصاص، وبعض الدعاة، وحتى ما أوردته كتب التراث والتفاسير، في قصص بعض الصحابة والصالحين، منها مثلا: قصة ابن عمرو بن العاص، تلك القصة المشهورة، التي شكا فيها أحد أهل مصر من ابن عمرو – رضي الله عنه- متهما إياه بأنه ضربه، فما كان من الخليفة عمر رضي الله عنه، إلا أن استدعى عمرو وولده، وجعل المصري يضرب عمرو وولده، ويقول له قولته المشهورة، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا!! والقصة مكذوبة موضوعة مفتراة، بينتها سندا ومتنا، لعلل في سندها، منها وجود الانقطاع ما بين ابن عبده وابن عبد الحكم، ووجود الضعفاء والمناكير في طريقها، بجانب ركاكة متنها، ولو تأمل العقل والنظر، لتبين كذب تلك الرواية، فبفرض أن الولد أذنب فما ذنب الوالد؟! ثم من ابن عمرو المقصود؟ أهو عبد الله أحد أكابر الصحابة الذي روى عن رسول الله ﷺ سبعمائة حديث أو يزيد، أم هاشم أم هشام أم عمران، فالتعميم هنا يدل على التدليس والتلبيس؟! ثم السؤال أتلك الصحابة؟ وهل هذا هو عمرو الذى شهد له رسول الله ﷺ بالإيمان وحسن الخلق!

الأمر ذاته في تلك القصة المشهورة في كتب التفاسير عن حاطب بن ثعلبة الصحابي الجليل، البدري، والذى أدعى البعض أن قول الله جل وعلا: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ

﴿ ٧٧ ﴾ (التوبة) نزلت فيه والحق أن الرجل برئ من تلك الفرية والتهمة وأن تلك القصة مزعومة مكذوبة، مردودة عقلا ونقلا سندا ومتنا!!

وقس على ذلك إن الأمة بحاجة إلى عقول واعية، وإلى سواعد عاملة، وإلى فهم مستنير، وإلى قلوب نقية صافية.

الإنسان هو الركن المهم في البناء الحضاري

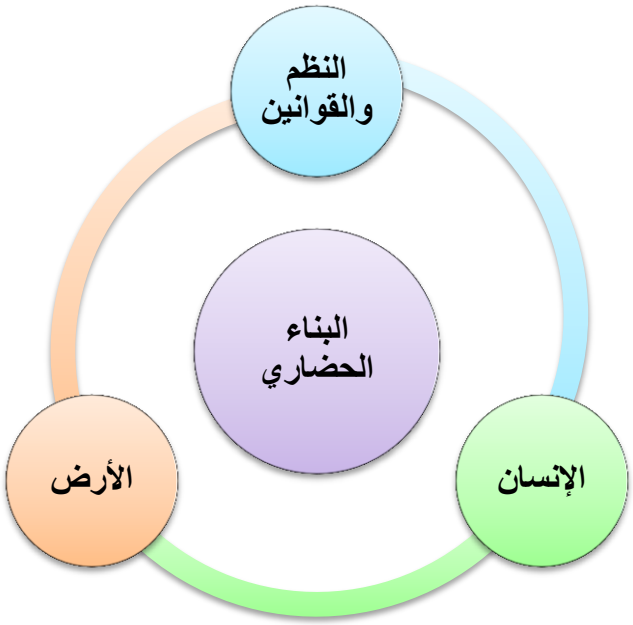

إن الحضارة الإسلامية مثلث؛ أركانه، الإنسان، والنظم، والأرض، أهم عنصر من عناصرها الإنسان، فلا حضارة بدونه، هو المنظم والمهيمن، هو الزارع، والصانع، والتاجر، والعالم، والمتعلم، هو الأستاذ، والطالب، ولذا فقد عنيت الحضارة الإسلامية بقيمة الإنسان؛ حتى رأينا الشافعي، والليث، والعز بن عبد السلام، والسبكي والسخاوي، والأميوطي، وابن الزين، والنووي، والقسطلاني، والجويني، والغزالي، والمجد اللغوي، والبلقيني، وابن الملقن، والقائمة تطول جدا، حتى رأينا الرجال في كل مكان رأينا خالد، وعمرو، والزبير، وبلال، والمقداد، وعقبة، وصلاح الدين، وقطز، والظاهر بيبرس، ومحمد الفاتح، وحري بالأمة أن تنهج نهجهم، وأن يكون شبابنا على دربهم، تشبهوا الرجال وإن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح.

إن بناء الإنسان المفكر القادر على التمييز والنظر من أصعب الصناعات التربوية، ولكنها في الوقت ذاته من أهم الصناعات. ومهما كثرت الضغوط على الصحوة الإسلامية، وتزايدت عليها المحن، وتكالب عليها الأعداء، وتشعبت بها دروب العمل، فيجب أن يكون ذلك من أولويات البناء والتكوين. حتى تضمن بفضل الله تعالى بقاءها وصلابتها من جهة، ونقاءها وسلامة توجهها من جهة أخرى. وإن غياب المنهج العلمي، وفقدان الضوابط الشرعية في الفهم، والتلقي، والعمل، يؤدي جزماً إلى هذا القصور والخلل الذي نعيشه. والنهوض بالأمة من هذه الكبوة لن يكون إلا وفق الأسس والقواعد الشرعية، المبنية على الكتاب والسنة، ويتكامل بناء الإنسان بعلمه بما يحتاج إليه من هذه العلوم والعمل بها، كل على قدر أهليته، وبحسب ما يفتح الله تعالى له، وبحسب ما خلقه الله تعالى له. وهذه العلوم لا تعارض بينها، ولكن تعاضد وتكامل، ولا يستغنى بواحد منها عن غيره، ولكن كل منها له موقعه وموضعه.

إذا حققنا تلك المعادلة التكاملية، بين العلوم، اللغة والأدب والبلاغة، والشعر، والتاريخ والتراجم، والمصطلح والحديث، والفقه والأصول، والطب، والفلك، والفلسفة، والعقيدة، أكتمل البناء الحضاري، وتكامل البناء الإنساني، وأشرقت شمس الإسلام من جديد، على الأمة وعلى العالم أجمع!

ولله در القائل : إن المكارم لا تحصل بالمنى *** لكن لها بالتضحيات سبيلا .. فلكم سما للمجد من أجدادنا *** بطل أقام على السمو دليلا .. فسل المعالي عن شجاعة خالد *** وسل المعارك هل رأته ذليلا.. وسل الحضارة إن رأيت بهائها *** عمن أنار لهديها القنديلا